الأبعاد الاستراتيجية للدرع الصاروخي في شرق أوربا

اللواء الركن المتقاعد علي حسين العكيدي*
أكاديمي وباحث من العراق

* عميد كلية الدفاع الوطني سابقاً ـ طالب دكتوراه ـ جامعة النهرين

مقدمة

تتوظف الولايات المتحدة الأمريكية المتغير العسكري بوصفه اداة من ادوات استراتيجيتها، لتعزيز هيمنتها على النظام الدولي، عبر ربطه بشكل وثيق مع سياستها الخارجية، ومن في استراتيجية عسكرية أطلقت عليها تسمية (خطوط العمليات العسكرية المتقدمة)، فأقامت شبكة من التحالفات والقواعد، والتسهيلات العسكرية في مناطق عديدة من العالم، لتوسيع نطاق ومدى وفاعلية عمل قواتها المسلحة، وتدخلها في الأزمات والصراعات الدولية، بالسيطرة على مناطق الاهتمام العسكري ذات الأهمية الاستراتيجية العالية التي توفر حرية الحركة والمرونة وسرعة الوصول إلى مناطق العمليات، مع ضمان درجة عالية من التأهب والاستعداد العملياتي، لردع ومواجهة العدو الذي يحدد على وفق الإدراك والمصالح الامريكيـة[1].

وقد طبقت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الاستراتيجية التي ترتكز على التحالفات السياسية والعسكرية والوجود العسكري منذ الحرب الكورية عام 1950، وأجرت عليها تعديلات بعد تدهور وضعها العسكري في فيتنام في سبعينيات القرن العشرين، وتبنت في قيادتها لحلف الناتو بشكل خاص استراتيجية تقوم على التنسيق والمشاركة والاعتماد على الحلفاء، كشركاء ودفعهم لتحمل جزء من أعباء المهامات المناطة بالحلف، كتابعين مرؤوسين تحت سيطرتها.

منذ انتهاء الحرب الباردة اعادت الولايات المتحدة تفعيل رؤيتها

(1) زبيغنيو بريجنسكي: ثلاثة رؤساء وازمة القوة العظمى الامريكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ص198.

منذ انتهاء الحرب الباردة اعادت الولايات المتحدة تفعيل رؤيتها الاستراتيجية التي تم ضوئها أسس حلف الناتو لغايات أبعد من مسألة حماية أوربا.

الاستراتيجية التي تم ضوئها أسس حلف الناتو لغايات أبعد من مسألة حماية أوربا والدفاع عنها ضد هجوم سوفيتي محتمل في مرحلة الحرب الباردة، لإدامة حياة الناتو واستمرار بقائه، ادراكاً منها لتعرض مكانتها العالمية وهيمنتها على النظام الدولي للتراجع، بدون وجود الحلف وقيادتها له، وتعزز القوة العسكرية المتفوقة قيادة الولايات المتحدة، وتربعها على قمة هرم التوزيع العالمي للقوة، وتطلبت عملية توظيف واستثمار هذه القوة توسيع الناتو شرقاً وزيادة عدد اعضائه بضم دول من شرق أوربا التي كانت جزءاً من الكتلة الشيوعية في مرحلة الحرب الباردة، وتم ابتكار مهامات جديدة للحلف مثل محاربة الإرهاب، والتدخل الدولي الانساني في مناطق الأزمات والصراعات، ونشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان ومواجهة تهديد الدول التي تسميها الولايات المتحدة دولاً مارقة (كوريا الشمالية، وإيران)، وبرامجها الساعية للحصول على السلاح النووي، وتقنية الصواريخ البالستية، وعدّت الولايات المتحدة هذه المتغيرات مصدر تهديد لأمنها القومي ومصالحها الحيوية، وأمن ومصالح حلفائها[2].

(2) اندرو باسيفيتش، الامبراطورية الامريكية، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004، ص19.

وتستوجب هذه التهديدات تعزيز قوتها العسكرية، وتطويرها لإدامة تفوقها باستثمار معطيات التقدم العلمي والتكنولوجي وثورة المعلومات والمعرفة، لإقامة منظومات صواريخ متطورة مضادة للصواريخ البالستية في مرحلة تاريخية، تشهد تعدد القوى النووية، وصعود قوى بازغة على الساحة الدولية في مقدمتها الصين، وسعياً روسياً حثيثاً لاستعادة المكانة والدور العالمي للاتحاد السوفيتي السابق، الأمر الذي يهدد استمرار وبقاء احتفاظ الولايات المتحدة بموقع القوة العظمى الوحيدة، وشكل ذلك دافعاً لتحركها لإحكام السيطرة على المناطق الجغرافية، ذات الاهمية الاستراتيجية واستغلالها لتطويق واحتواء مصادر تهديد زعامتها العالمية، وكان الدرع الصاروخي في شرق أوربا واحداً من ادوات الاستراتيجية الامريكية، لإدامة الهيمنة والنفوذ على المستوى العالمي حاضراً ومستقبلاً عن طريق منظومة سلاح تتكامل فيها القدرات الدفاعية والهجومية، ويمثل سبيلاً يعيد للردع الامريكي مصداقيته وتفوقه.

تشهد تعدد القوى النووية، وصعود قوى بازغة على الساحة الدولية في مقدمتها الصين، وسعياً روسياً حثيثاً لاستعادة المكانة والدور العالمي للاتحاد السوفيتي السابق.

أولاً: الاستراتيجية العسكرية الأمريكية بعد الحرب الباردة

تعكس الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة بعد مرحلة الحرب الباردة، توظيف التفوق العسكري الامريكي بالشكل الذي يضمن ويعزز تفرد الولايات المتحدة على صعيد القوة العسكرية، وإظهار قدرة الولايات المتحدة وعزمها على استخدام القوة، أو التهديد باستخدامها عبر اسلوب ردع فعال، ويجمع التفكير الاستراتيجي الامريكي بين التهديد باستخدام القوة، واستخدامها الفعلي، وقد كشفت احداث 11 ايلول 2001، عن انتهاء فاعلية العقيدة الأمنية الأمريكية التي قامت في مرحلة الحرب الباردة على الردع والاحتواء، وحفز الحدث الفكر الاستراتيجي الامريكي الذي تعامل مع التغيير، وادرك التهديد، وحدد مصادره في مناطق معينة من العالم، وفي دول تتقاطع معها الولايات المتحدة لأسباب سياسية ـ أمنية، أو اقتصادية، وبضوء تقديرها لأثر هذه التهديدات على الأمن القومي والمصالح الحيوية الأمريكية التي تخضع للتكييف على وفق المنطق الذرائعي، وتوظيف شعارات مثل حقوق الانسان، ونشر قيم الديمقراطية، ومقتضيات الشرعية الدولية، ومكافحة الارهاب، ومنع انتشار اسلحة الدمار الشامل ووسائل ايصالها، ومتطلبات الحفاظ على الأمن الإقليمي.

صاغت مؤسسة الأمن القومي الأمريكي استراتيجية عسكرية ـ أمنية، تتناسب مع سياسات الولايات المتحدة للهيمنة على النظام العالمي.

ووصفت مصادر التهديد بالخطر الذي يستهدف الوجود الامريكي، الأمر الذي يستوجب الردع ليس بالقوة النووية فحسب، وإنما بقدرات عسكرية تقليدية ذات خصائص تكنولوجية فائقة التطور تتكامل مع القدرات النووية، وأن تكون على قدر كبير من الاستعداد والجاهزية للعمليات العسكرية، وصاغت مؤسسة الأمن القومي الأمريكي استراتيجية عسكرية ـ أمنية، تتناسب مع سياسات الولايات المتحدة للهيمنة على النظام العالمي[3].

وأُعيد النظر بالتخطيط الاستراتيجي الأمني، وأعيدت هيكلية القوات المسلحة على وفق عقيدة عسكرية، توفر القدرة على مواجهة تحديات الخصوم الجدد والتعامل معهم، وتضمنت وثيقة استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الصادرة في أيلول عام 2002، مبادئ إعداد الاستراتيجية العسكرية الجديدة التي حلت محل الاستراتيجية، التي تم اعتمادها في مرحلة الحرب الباردة، والتي ركزت على مبادئ الردع، والقدرة على الرد

(3) عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، دار الرقيم للنشر والتوزيع، بغداد، 2005، ص 322.

والتدمير بالضربة الثانية، وأصبح البديل في مرحلة ما بعد الحرب الباردة واحداث أيلول 2001، تبني استراتيجية جديدة تقوم على الردع الوقائي المرتكز على العمل لاحتواء التطورات، وإحباط مساعي القوى التي تهدد بالخطر قبل أن تنمو وتتبلور بشكلها الكامل[4].

(4) المصدر السابق، ص330.

ومفاد هذه الاستراتيجية القائمة على فكرة الردع المبكر، خلق القناعة لدى الخصوم بأن القيام بأي عمل يمس أمن ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية داخل أراضيها، وفي الخارج سيواجه بضربات استباقية وقائية دون إنذار مسبق، ويعني هذا التخلي عن نمط الدفاع المستكن إلى نمط التعرض والهجوم، عن طريق الحرب الاستباقية الوقائية بحجة الدفاع عن النفس، وتُعدّ هذه الاستراتيجية هي الأصلح على وفق المنظور الأمريكي، إذ يمثل الاستخدام الوقائي للقوة الخيار الوحيد لمواجهة الاخطار المحتملة التي تهدد الأمن القومي الامريكي[5]، ويفرض تبني هذه الاستراتيجية على المؤسستين الاستخباراتية والعسكرية إعادة النظر في المفاهيم، وفي عملية جمع المعلومات ونوعيتها، واستخدام أسلحة جديدة تتوافق مع متطلبات العمليات العسكرية الوقائية، وكان ذلك هو المنطلق لإقامة نظام الدرع الصاروخي[6].

(5) خليل حسين، ذرائع الارهاب الدولي وحروب الشرق الاوسط، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2012، ص319.

(6) سمير التييز، الولايات من الداخل: حروب من اجل النفط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010، ص 115.

وفضلاً عن فكرة الردع المبكر تتبنى هذه الاستراتيجية فكرة، أو مبدأ الضربة الاجهاضية الوقائية، بالمبادرة بالهجوم بشكل مباغت على الخصوم، أذا حاولوا القيام بعمل يمس أمن ومصالح الولايات المتحدة الحيوية، ويتطلب ذلك انتشار القوات المسلحة الأمريكية في مناطق تؤمن الدفاع عن المصالح الحيوية، مع توفير الغطاء والدعم الاستراتيجي لعمل القوات الحليفة[7].

(7) عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، مصدر سابق، ص 117.

لقد فرضت القدرة التدميرية للأسلحة النووية قيوداً متبادلة على القوى النووية، في حرية اتخاذ القرار السياسي باللجوء إلى خيار استخدام القوة العسكرية، وتراجع الخيار النووي إلى حد بعيد، ووفر التطور التكنلوجي، وثورة المعلومات، وتقدم الحاسبات والبرامجيات الفرصة للتخفيف من أثر هذه القيود، وقد حفزت هذه التطورات التفكير الاستراتيجي، والصناعة العسكرية، ودفعت باتجاه توظيف واستثمار التقدم التكنلوجي ومعطياته.

وأعيدت صياغة وتوجهات الفكر الاستراتيجي العسكري الذي دخل مرحلة حروب العصر التكنومعلوماتي التي تتحكم فيها عوامل التفوق في

المعلوماتية، والمعرفة ونظم البرامجيات، والحاسبات المتطورة، وتكنولوجيا الاتصالات، والاقمار الصناعية، وأدى ذلك إلى تغير نوعي على الصعيد العسكري تجسد في زيادة قوة وكفاءة وفاعلية الاسلحة الذكية، المعتمدة على برامج وانظمة الكومبيوتر ووسائل الاتصال والمنصات الفضائية، وصاحبه تطور نوعي في العقيدة العسكرية الأمريكية التي تتبنى مبدأ الحسم السريع، لأي عملية عسكرية لتجنب استنزاف الموارد البشرية والعسكرية والاقتصادية، وتآكل الدعم السياسي، وهو مسألة مهمة في النظم السياسية الديمقراطية.

العقيدة العسكرية الأمريكية التي تتبنى مبدأ الحسم السريع، لأي عملية عسكرية لتجنب استنزاف الموارد البشرية والعسكرية والاقتصادية، وتآكل الدعم السياسي.

ثانياً: مفهوم نظام الدرع الصاروخي

نظام الدرع الصاروخي عبارة عن شبكة حماية ضد الصورايخ البالستية العابرة للقارات، ويتكون من منظومة صورايخ ارضية متطورة تكنولوجياً، تتبادل الاسناد، وتنفتح في نقاط ارتكاز جغرافية عديدة تُحدد بموجب مصادر التهديد المحتملة والمتوقعة، ولها القدرة على اعتراض وإسقاط أي صاروخ بالستي يستهدف أراضي ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية ومصالح حلفائها، ويؤمن النظام للقوات الأمريكية والقوات الحليفة العاملة في الميدان القدرة على مواجهة أي تعرّض تقوم به أي جهة معادية تملك صواريخ بالستية[8].

(8) بول ف. باور، القضايا النووية في الشرق الأوسط من المنظور العالمي، ترجمات استراتيجية، العدد (2)، ترجمة احمد فخري، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، تموز 1996، ص 35.

وأطلقت على المشروع تسمية الدفاع الوطني الصاروخي National Missile Defens، ويتعارض الدرع الصاروخي مع معاهدة الحدّ من الاسلحة البالستية ABM الموقعة عام 1972 بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق، انسحبت الولايات المتحدة من المعاهدة في كانون الاول عام 2001، إذ تضمنت تلك المعاهدة بنوداً تقضي بإبقاء الاجواء مفتوحة وغير محمية لأطراف الاتفاق، بغية ايجاد ردع متبادل بين القوتين العظميين في حقبة الحرب الباردة، ولإتاحة الفرصة للدولة التي تتعرض لضربة نووية للرد عليها بضربة مقابلة دون عائق لتحقيق التوازن في الردع.

أن مساعي كوريا الشمالية وإيران لتطوير تقنيات الصواريخ البالستية ومدياتها، ورغبة هاتين الدولتين لامتلاك السلاح النووي، تشكل تهديداً لأمن ومصالح الولايات المتحدة وحلفائها.

وترى الولايات المتحدة أن مساعي كوريا الشمالية وإيران لتطوير تقنيات الصواريخ البالستية ومدياتها، ورغبة هاتين

الدولتين لامتلاك السلاح النووي، تشكل تهديداً لأمن ومصالح الولايات المتحدة وحلفائها، وردع هذا التهديد بالقدرات النووية غير ممكن، لأن نظامي الحكم في هذين البلدين (من وجهة النظر الامريكية)، لا يعيران أهمية لآمن وأرواح شعبيهما، وهو ما يفرض ضرورة قيام الولايات المتحدة بتوفير البرامج الدفاعية اللازمة لصد هجمات محتملة من جانب هاتين الدولتين، أو من جانب أي طرف يمتلك الصواريخ البالستية القادرة على تهديد الولايات المتحدة وحلفائها الرئيسيون، ويتكون النظام من منظومة قيادة وسيطرة اتصالات، وإدارة معركة، ومنصات لإطلاق الصواريخ من الارض، ومن على سطح السفن لاعتراض الصواريخ المعادية، ومنظومة للسيطرة على الصاروخ في الجو، ومنظومة رادارات لاستطلاع الأهداف المعادية وكشفها، ومنظومة رادار للإنذار المبكر، ومنظومة اشعة تحت الحمراء الفضائية، فضلاً عن خطوط الالياف الضوئية التي تؤمن الاتصال بين عناصر النظام، ويقع مركز منظومة التحكم والقيادة في ولاية آلاسكا وتتبعها مراكز القيادة والسيطرة الفرعية التي سيتم نشرها في المناطق المهمة في العالم، والتي ستقرر الولايات المتحدة اقامة هذه الأنظمة فيها[9].

حققت الولايات المتحدة الأمريكية غايتها عبر توسيع الناتو شرقاً بضم اعضاء جدد من دول أوربا الشرقية الشيوعية سابقا إلى الحلف.

(9) رودلف جوليياني وجون أدواردز، رؤيتان للسياسة الخارجية الامريكية: جمهورية وديمقراطية، دراسات عالمية، العدد (72)، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دبي، 2008، ص 1-3.

ثالثاً: الدرع الصاروخي وتوسيع الناتو باتجاه شرق اوروبا

تطلب التفصيل العملياتي لمنظمة الدرع الصاروخي، التحكم بمناطق ذات اهمية استراتيجية عسكرية في شرق اوروبا، وحققت الولايات المتحدة الأمريكية غايتها عبر توسيع الناتو شرقاً بضم اعضاء جدد من دول أوربا الشرقية الشيوعية سابقا إلى الحلف، وتم اختيار جمهورية التشيك كموقع لنصب منظومة الرادار المضاد للصواريخ البالستية، ونشرت عدة بطاريات من صواريخ الاعتراض المضادة في بولندا[10].

(10) سعد السعيدي، تداعيات الأزمة الروسية الجورجية على العلاقات الروسية الامريكية، دراسات دولية، العدد (42)، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2009، ص121.

واختير هذان الموقعان في شرق أوروبا ووسطها على وفق اعتبارات جيوستراتيجية استخلصت من مزج افكار (ماكندر) و(سبايكمان) ونظريتهما حول (أرض القلب) و(الإطار الارضي)، إذ أشار (ماكندر) إلى أن من يسيطر على منطقة القلب التي تشمل جزءا كبيرا من أوراسيا وتحتل روسيا مركز هذا القلب، سيسيطر على جزيرة العالم، ومن ثم يتحكم بالعالم، وذكر ان منطقة القلب تعاني من وهن جيوستراتيجي يتمثل بأوروبا الشرقية التي

إن الولايات المتحدة الأمريكية محصورة بين أطراف أوراسيا من الغرب ومن الشرق.

يسيطر من يتحكم بها على منطقة القلب، وعلى عكس (ماكندر) قال (سبايكمان)، أن منطقة القلب تفتقر إلى مقومات القوة التي تتركز في المنطقة الواقعة غرب جبال الاورال أي في القسم الاوروبي من اوراسيا، وعدت منطقة الثقل في صياغة التوجهات نحو السيطرة العالمية لا تتحدد بمنطقة القلب الارضي وقال (ماكندر)، بل تتركز في المنطقة التي اطلق عليها تسمية منطقة الإطار الارضي (Rim Land) وتشمل هذه المنطقة قارة أوربا ماعدا روسيا، وآسيا الصغرى، والعالم العربي، إيران، افغانستان، جنوب شرق آسيا، الصين، كوريا وشرق سيبريا، وتنفتح هذه المنطقة على منطقة القلب وتحيط بها، ومن يتحكم بأرض الإطار يسيطر على أرض القلب.

وبين (سبايكمان) أن أهم مركزين للقوة سياسياً وعسكرياً خارج هذا الإطار، هما بريطانيا الواقعة قرب سواحل غرب اوربا، واليابان في شرق اسيا، وقال إن الولايات المتحدة الأمريكية محصورة بين أطراف أوراسيا من الغرب ومن الشرق، ويفصل المحيط الأطلسي بين بريطانيا وهي مركز القوة في أوربا وبين الولايات المتحدة، في حين يفصل المحيط الهادي بين اليابان وهي مركز القوة في شرق آسيا وبين الولايات المتحدة، وبسبب أهمية المنطقة وتأثيرها على أمن الولايات المتحدة الأمريكية ذكر (سبايكمان) أنه يتوجب عليها السعي المتواصل لمنع أي تحالف بين مراكز القوة الرئيسة في العالم، وكذلك بين القوى الرئيسة في منطقة الإطار الارضي (Rim Land)[11]، ويفسر ذلك بسبب العلاقات الخاصة والوثيقة، التي اتخذت طابع الشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وبين كل من بريطانيا واليابان.

ان السيطرة العالمية للولايات المتحدة لن تكون كاملة، أذا لم تتعزز بالسيطرة على اوراسيا، التي تضم الدول الاقوى والاكثر دينامية في العالم.

يرى بريجينسكي ان السيطرة العالمية للولايات المتحدة لن تكون كاملة، أذا لم تتعزز بالسيطرة على اوراسيا، التي تضم الدول الاقوى والاكثر دينامية في العالم، وتشكل تحديا بسبب قراراتها الاقتصادية والسياسية لسيادة الولايات المتحدة وهيمنتها[12].

(11) عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، مصدر سابق، ص94-96.

(12) برينجسنكي، رقعة الشطرنج الكبرى، ترجمة امل الشرقي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ص.48.

رابعاً: الابعاد الاستراتيجية للدرع الصاروخي

تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق اهداف استراتيجيتها الشاملة

عن طريق التكامل بين حلقات هذه الاستراتيجية، ومن بينها الاستراتيجية العسكرية، التي اعدت بموجبها حسابات معادلة توازنات القوى، التي اظهرت أن عملية اقامة نظام الدرع الصاروخي في وسط وشرق أوروبا تؤمن للولايات المتحدة الأمريكية وجوداً عسكرياً وارجحية جيوستراتيجية على الاطراف الغربية لروسيا، إذ يترتب على عملية نشر منظومات الدرع الصاروخية نشوء حاجز استراتيجي بين حلفاء الولايات المتحدة في الغرب، وبين روسيا وشرق جنوب آسيا، ويوفر ذلك مزايا استراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية على الاصعدة العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية[13].

(13) يوسف كامل ابراهيم، الردع الصاروخي الأمريكي، في أوروبا والعودة إلى الحرب ألباردة دورية فلسطينية، العدد(14)، يوليو/ تموز، 2007، ص1.

1. البعد العسكري والأمني

يعزز نظام الدرع الصاروخي قدرة الولايات المتحدة الامريكية، على التعرض بوصفه سلاحاً مكملاً لأسلحة الضربة الاولى، فهو ليس مجرد سلاح دفاع وقائي ضد هجوم معادي، أذا أنه يمنح الولايات المتحدة امكانية المبادرة بالهجوم ويضمن لها حرية العمل واختيار التوقيت الملائم لاستخدام القوة، وتامين الحماية لأراضي الولايات المتحدة وضمان أمنها ضد أي رد انتقامي يعقب مبادرتها بتوجيه الضربة الاولى، ويعني ذلك دعم قدراتها على فرض هيمنتها على السياسية الدولية ونظام الأمن العالمي وتكمن الاهمية الاستراتيجية لدرع الصاروخي في قدرته على اعتراض وتدمير صواريخ الرد على الضربة الأمريكية في الجو قبل وصولها إلى أهدافها، وأن لهذا النظام امكانية اعتراض وتدمير الصواريخ البالستية، التي قد يطلقها الخصوم في الموجة الثانية، أي إن الدرع الصاروخي يوفر للولايات المتحدة امكانية القيام بتوجيه الضربة الاولى وتحييد وابعاد مخاطر تهديد الرد الانتقامي عن المدن والأهداف الحيوية الأمريكية بفضل التطور التكنلوجي العالي لهذا المشروع، الذي يحقق في الجانب العسكري حرية العمل والحركة في حالتي الدفاع والهجوم[14].

إن الدرع الصاروخي يوفر للولايات المتحدة امكانية القيام بتوجيه الضربة الاولى وتحييد وابعاد مخاطر تهديد الرد الانتقامي عن المدن والأهداف الحيوية الأمريكية .

(14) بيان طارق عبد المجيد، الانتشار النووي والخيارات الاستراتيجية للقوى الصغرى ونموذج جنوب آسيا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم ألسياسية، جامعة بغداد، 2006، ص7.

أي أنه يحقق التفوق في الوزن الاستراتيجي النووي والتقليدي على الساحة الدولية، وانهيار الردع المتبادل بين الولايات المتحدة وروسيا والصين

والقوى النووية الاخرى، لصالح الولايات المتحدة الأمريكية[15]، التي ستحفظ استراتيجيتها بمصداقة وما عليه الردع الذي يمزج بين القدرات الهجومية النووية والقدرات الدفاعية التقليدية ذات المستوى عالي التطور.

(15) احمد ابراهيم محمود، الردع الصاروخي وعودة اجواء الحرب الباردة، مجلة السياسة الدولية، العدد (150)، القاهرة، يونيو، 2007، ص7.

إن تعدد القوى النووية على الأسلحة الدولية مؤشر على تعددية القطبية على صعيد القوى وبرغم احتفاظ الولايات المتحدة الأمريكية بالتفوق العسكري، على هذه القوى فقد فرض عليها هذا الواقع تبني استراتيجية ردع موجهه ليس لطرف واحد بل لكل الأطراف، وكان الدرع الصاروخي هو الوسيلة لتحييد فاعلية التهديد النووي لروسيا والقوى النووية الاسيوية والمحافظة على التفوق على الصعيد العالمي[16]، وتمثل روسيا الاتحادية التهديد والقوي الأكبر لزعامة الولايات المتحدة، إذ تعد روسيا نفسها قوة نووية عظمى، وتتطلع لاستعادة مكانة الاتحاد السوفيتي السابق على الساحتين العالمية والاوروبية، وقد حدد تقرير مجلس المخابرات القومي الأمريكي التهديد الروسي للأمن القومي الامريكي بما يأتي[17]:

(16) Anthony cordefman, Russia and U.S.A National missed beefed, sprat, the A.B. m.crpaty and mucosa modernization, www. efg.org. 2001, b.3-5.

(17) احمد ابراهيم محمود، الردع الصاروخي وعودة اجواء الحرب الباردة، مجلة السياسة الدولية، العدد (150)، القاهرة، يونيو، 2007، ص7.

1. القدرات العسكرية لروسيا الاتحادية وإمكاناتها لردع وصد أي تعرض عسكري نووي أو تقليدي يوجه ضدها.

2. الخبرة العسكرية العالية للقوات العسكرية المسلحة الروسية.

3. تبني روسيا الاتحادية لاستراتيجية عسكرية ترتكز على توجيه ضربات نووية تكتيكية بشكل محدود في ميدان العمليات، وتوسيع نطاق هذه الضربات ليغطي الاهداف الحيوية في عمق أراضي الخصم مع تصاعد العمليات العسكرية.

محمد حسنين هيكل، الزمن الامريكي من نيوريوك إلى كابول: كلام في السياسة، مطبعة الشروق، بيروت، 2002، ص 73.

ويشكل الدرع الصاروخي بحسب الرؤية الأمريكية رادعاً لروسيا، إذا فكرت بالهجوم على الولايات المتحدة الامريكية، أو حلفائها في أوربا ويضع قيوداً على من يفكر بالهجوم، ويجعل هذا الخيار صعباً[18].

(18) كوندليزا رايس السياسة الأمنية الأمريكية وحماية البنية التحتية الحرجة للبلاد، الشبكة الدولية للمعلومات على الرابط: http:// www. nation security. winfo. org

وتراقب الولايات المتحدة الأمريكية برنامج الصواريخ الصينية، وتطور القدرات النووية والعسكرية التقليدية للصين، التي تمثل تحدياً للوجود والمصالح الأمريكية في شرق وجنوب شرق آسيا، ووضعت الصين ضمن الأهداف الرئيسة لنظام الدرع الصاروخي، وقد نشرت أجزاء من الصواريخ والرادارات الخاصة، بمنظومة الدرع الصاروخي في اليابان، وكوريا

أن الغاية من الدرع الصاروخي ادامة الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي، وهو يمثل تحدياً للصين.

الجنوبية، وعلى السفن الحربية الأمريكية في بحر الصين الشرقي، وكذلك في الكويت والبحرين والسعودية والامارات العربية المتحدة لتحقيق التكامل مع المنظومة في أوربا الشرقية لصد الصواريخ روسية والصينية في حال استهدافها، لأمن ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية وآمن ومصالح حلفائها الاوربيين والأسيويين[19].

وتعد روسيا نظام الدرع الصاروخي تهديداً لأمنها، وسيؤدي اكمال انشائه إلى فقدان روسيا ميزية الردع النووي المقابل بإزاء الولايات المتحدة الامريكية، التي ستتمكن من مراقبة نشاطات منشآت الصواريخ البالستية في وسط روسيا، ومراقبة اسطول الشمال الروسي[20].

وترى الصين أن الغاية من الدرع الصاروخي ادامة الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي، وهو يمثل تحدياً للصين لإخضاعها للضغوط إذ يؤثر في فاعلية ردعها النووي ويضع قيودا على استخدامها للقوة، وأن من بين اهدافه تطويق واحتواء الصين بشكل تحالفات أمريكية مع اليابان وكوريا الجنوبية واندنوسيا والهند[21].

وقد أعلنت روسيا والصين انطلاقاً من الشعور بالتهديد المشترك، عن قيامها بالتنسيق والتعاون للسيطرة على محيطها الإقليميين في آسيا الوسطى، وجنوب أو جنوب شرق اسيا، وتخلق المصالح الامنية التي تواجه تهديداً مشتركاً مصدره الولايات المتحدة، مصلحة مشتركة للطرفين في مواجهة التفوق العسكري والتكنلوجي الامريكي في آسيا وفي شرق أوربا[22]، وبضوء ما ورد آنفاً يخل الدرع الصاروخي بالتوازن الاستراتيجي على الصعيد العالمي، ويؤدي إلى أحياء الحرب الباردة والصراع، وهو بداية لسباق تسلح جديد[23].

2. البعد السياسي والاقتصادي

يمثل الدرع الصاروخي رسالة أمريكية للقوى النووية، مفادها تراجع فاعلية ردع سلاحها النووي بوجود الدرع الصاروخي، الذي أخل بالتوازن الاستراتيجي لصالحها وتخلق خصائص الدرع الصاروخي[24]، وقدرته على تدمير الصواريخ الباليستية حالة من الشك، في مسألة القدرة على مواجهة

(19) هنري كسينجر، سنوات التجديد، ترجمة هشام الدجاني، العبيكان للنشر، الرياض، 2009، ص203.

(20) نزار الحيالي، اصول وتحدي الأطلسي الجديد، دراسات استراتيجية العدد7، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2000 ص11.

(21) عامر هاشم عواد، التحول في العلاقات الروسية الأمريكية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 26، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص 58 ـ 61.

(22) طه المجذوب، المشروع القومي الامريكي للدفاع الصاروخي: عناصر الفشل واعتراضات الدول، ملف الأهرام، العدد 41812، السنة 125، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، مايو 2001، ص2 ـ 3.

(23) هاني الياس الحديثي، اللقاء الروسي الصيني ومستقبل التوازن، اوراق اسيوية العدد 47، السنة 2، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2000، ص2.

(24) ناظم عبد الوحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية وللفلسفية الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، 2008، ص5.

التفوق العسكري الأمريكي، وتستهدف الولايات المتحدة الأمريكية الجانبين النفسي والعقلي للقيادات السياسية وقدراتها على اتخاذ القرار بشكل متوازن في الدول التي تنافسها أو يحتمل أن تنافسها على انفرادها بالهيمنة على النظام العالمي.

تستهدف الولايات المتحدة الأمريكية الجانبين النفسي والعقلي للقيادات السياسية وقدراتها على اتخاذ القرار بشكل متوازن في الدول التي تنافسها.

ولا يقتصر التأثير في الخصوم فقط، بل يشمل الحلفاء وفي مقدمتهم الاتحاد الأوربي لإبقائه تابعاً للقيادة الأمريكية توظف وتوظف الولايات المتحدة الدرع الصاروخي لتعزيز قيادتها لحلف الناتو، وربط الأمن والقرار الاوروبي، بالأمن القومي الامريكي وبالقرار الذي تتخذه الولايات المتحدة الامريكية[25]، وقد وظفت الاخيرة عملية توسيع الناتو شرقاً للهيمنة على القرار السياسي الأوربي في مسائل الأمن والدفاع، إذ وثقت علاقاتها السياسية والاقتصادية ووظفت وسائل قوتها الناعمة مع دول أوربا الشرقية التي انضمت للناتو، ودعمت عملية انضمام هذه الدول إلى الاتحاد الاوربي، لتوظيفها بدفعها لاتخاذ مواقف داخل الاتحاد تتماشى مع اهدافها ومصالحها للحيلولة دون تبلور سياسة خارجية أوربية موحدة تعكس موقفاً سياسياً مستقلاً للاتحاد الأوربي قد يؤثر على هيمنتها وانفرادها بالنظام الدولي، وقد وفرت عضوية هذه الدول في حلف الناتو.

(25) نبية الاصفهاني، قمة واشنطن في ضوء التطور التاريخي لسياسة الوفاق، السياسة الدولية، العدد (92)، 1988، ص 58.

وفي الاتحاد الأوربي، القدرة للولايات المتحدة على تجاوز العقبات التي تضعها ألمانيا، وفرنسا امام نفوذها في أوربا وقيادتها لحلف الناتو، وتقف هذه الدول إلى جانب الولايات المتحدة في مواقفها المعارض لإقامة قوة أوربية مستقلة عن الناتو إذ يمهد ذلك لخلق هوية دفاعية اوربية مستقلة عن القيادة الامريكية[26]، وتعارض الولايات المتحدة فكرة ضمان الأمن الأوربي خارج مظلة الناتو.

(26) ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الأمريكية ـ الاوربية على قضايا الامة العربية في حقبة ما بعد الحرب الباردة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 317.

وتؤكد الترابط الاورو ـ أطلسي للحفاظ على تماسك الحلف ووحدته تحت قيادتها[27]، وتعارض ألمانيا وفرنسا الدرع الصاروخي، إذ انتقدت ألمانيا أحادية القرار السياسي الأمريكي حول اقامة المشروع، وبينت ضرورة مناقشته مع الاتحاد الأوربي بروح الشراكة في إطار حلف الناتو، لتجاوز تأثيره الحدود السياسية للولايات المتحدة الأمريكية ويثير رفض روسيا والصين للدرع الصاروخي ونشره في شرق أوربا المخاوف الالمانية النابعة

(27) خير الدين العايب، التخوف الامريكي من المشاريع الاوربية، مجلة الفكر السياسي، العدد (87)، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات، خريف وشتاء 2002، ص98.

من قيام سباق تسلح جديد، فضلاً عن الخشية من حدوث انقسام في اوربا، وترى فرنسا ان الدرع الصاروخي لن يجعل أوربا أكثر أمناً، وسيعقد الامور بتعريضه التوازن الاستراتيجي للاختلال[28].

(28) عادل محمد مظهور، النظام الدفاعي الصاروخي الامريكي وأثره على الأمن القومي العربي، المؤتمر السنوي السادس، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2001، ص 169.

وتعد بريطانيا من أبرز القوى الاوربية المؤيدة للمشروع، إذ تولي لعلاقتها الثنائية الخاصة مع الولايات المتحدة أهمية أكبر من علاقتها مع الاتحاد الأوربي، لارتباط دورها على الصعيدين الأوربي والدولي بتحالفها وشراكتها الاستراتيجية مع الولايات المتحدة، وكما تقف ايطاليا واسبانيا إلى جانب بريطانيا في تأييدها لإقامة الدرع الصاروخي في شرق أوربا بوصفه مهماً لحماية أوربا من الخطر[29]، وتعزز هذه المواقف المتباينة لأطراف الاتحاد الأوربي الهيمنة السياسية الأمريكية على قرارات حلف الناتو وتدعم موقفها لتقوية الترابط الأورو ـ أطلسي لربط الأمن الأوربي بالأمن الامريكي، إذ يشكل هذا الترابط قوة موحدة في مواجهة روسيا والصين، ويطمئن دول شرق أوربا التي تخشى عودة الهيمنة الروسية، واعادة انبعاث ألمانيا القوية، وترى هذه الدول في القيادة الأمريكية للناتو ضمانة لها بوجه الرغبة الروسية لاستعادة الدور المفقود، والطموح الألماني لزعامة اوربا[30].

(29) علاء الدين حسين مكي خماس، مشروع الدفاع الصاروخي الامريكي: دراسة وتحليل، جامعة النهرين، 2002، ص 99.

(30) Stphen F. Larrabee, NATO?S Eastern Agenda in a New Strategic Eara, RAND Corporation, Washington D. C., 2003, P. 35.

ويرتبط البعد السياسي للدرع الصاروخي علاقته بالمجمع الصناعي العسكري الامريكي الذي ترجع نشأته إلى فترة الحرب العالمية الاولى عندما وضع رجال الاعمال الانتاج الصناعي الامريكي في خدمة المجهود الحربي، فبدأت الصناعة العسكرية تنمو، وتضخمت في الحرب العالمية الثانية إذ دعم البنتاغون إقامة قاعدة للإنتاج العسكري الضخم، وابقاء هذه القاعدة العسكرية الصناعية ضمن نشاط القطاع الخاص، وتحدد مقتضيات الأمن القومي سياسة التسلح، التي يدفع البنتاغون للتوسع فيها وزيادة الانتاج العسكري، ويصب ذلك في مصلحة شركات المجمع الصناعي، ويحقق لها المزيد من الارباح فنشأت مصالح مشتركة بينها وبين البنتاغون وامتدت إلى الكونغرس المسؤول عن تحديد التخصيصات المالية والسياسية الدفاعية الأمريكية، فنشأ تحالف بين هذه الاطراف وانعكس ذلك على عملية صنع السياستين الدفاعية والخارجية للولايات المتحدة الامريكية، وللمجمع الصناعي العسكري أثر كبير في تبني الولايات

ترى فرنسا ان الدرع الصاروخي لن يجعل أوربا أكثر أمناً، وسيعقد الامور بتعريضه التوازن الاستراتيجي للاختلال.

المتحدة لسياسة القوة في ظل إدراك صناع القرار عدم وجود طرف دولي توازي قوته القوة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية[31].

(31) اندرو باسيفيتش، مصدر سابق، ص297.

للصناعة العسكرية الأمريكية أهمية اقتصادية كبيرة بالنسبة إلى الولايات المتحدة الامريكية، إذ تشكل (40%) من اجمالي الصناعة الأمريكية، وتعزز النمو الاقتصادي وتوفر فرص عمل تفوق نسبتها ما توفره الصناعات الاخرى، فضلاً عن العائدات المالية المترتبة على مبيعات الاسلحة الأمريكية[32]، وفي ظل أعتماد الاقتصاد الأمريكي على التوسع في الانفاق العسكري تصبح سياسة القوة والصناعة العسكرية أداتان داعمتان للاقتصاد الامريكي في جانب معالجة العجز في الميزان التجاري، ويشكل وجود خطر يهدد الأمن والمصالح الحيوية، وأراضي الولايات المتحدة الأمريكية مسوغاً للتوسع في الانفاق العسكري وتمويل نظام الدرع الصاروخي للدفاع عن الولايات المتحدة.

(32) سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، دار وائل للنشر، عمان، 2000، ص 281.

وختاماً، تولي الولايات المتحدة الأمريكية أهمية خاصة لاستراتيجية العسكرية بوصفها حلقة أساسية من حلقات استراتيجيتها الشاملة لتعزيز هيمنتها وقيادتها للنظام العالمي، ويعد حلف الناتو وتوسيعه وابتكار مهامات جديدة له وتطوير أسلحته من الاليات الاساسية في منظومة القيادة العسكرية الامريكية، إذ لم يعد الاعتماد على الآليات واستراتيجيات الماضي كافياً بل يتوجب على الناتو بقيادة الولايات المتحدة أمتلاك القدرة على مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين الناجمة عن الارهاب، وانتشار اسلحة الدمار الشامل وتكنولوجيا الصواريخ البالستية، وفضلاً عن عودة روسيا للظهور كمنافس للولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية.

إدراك صناع القرار عدم وجود طرف دولي توازي قوته القوة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية.

وتسترعي هذه المتغيرات في المنظور الأمريكي إدامة التفوق العسكري في حالتي الدفاع والهجوم، ويكرس الدرع الصاروخي الذي أقيم على وفق اعتبارات ورؤية جيوستراتيجية في شرق أوربا قيادة الولايات المتحدة لعالم الغرب، وسيشكل نظام الدرع الصاروخي عند إكماله حاجزاً استراتيجياً بين روسيا الاتحادية والغرب بقيادة الولايات المتحدة، لذلك تكتسب

يتوجب على الناتو بقيادة الولايات المتحدة أمتلاك القدرة على مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين.

دول شرق أوربا وتوثيق العلاقات معها مكانه مهمه في الاستراتيجية الأمريكية لغرض تعزيز هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على الناتو وعلى العالم وستواصل الإدارات الأمريكية مساعيها للاستمرار بضم أعضاء جدد من شرق أوربا إلى الحلف وفي المقدمة من هذه الدول أوكرانيا لكي يقوم الحلف بدور الحاجز المعرقل لتطلع روسيا الاتحادية لاستعادة الدور والمكانة التي احتلها الاتحاد السوفيتي السابق بحرمانها من أي فرصة للعودة للهيمنة على وسط وشرق أوربا مجدداً.